

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير الجلالين

سورة الطور (2)

الشيخ / عبد الكريم الخضير

... ومراجعة كتب التفسير المختصرة لا سميا المتعلقة بغريب القرآن، ولا تكلف شيئاً حفظها سهل، ومن كتب الغريب ما طبع في حاشية المصحف، وهذا ييسر أكثر لكن قراءة جزء في كل يوم بالنسبة لطالب العلم كأنها قليلة بالنسبة لكتاب الله -جل وعلا-، لا يشق على طالب العلم أن يجلس بعد صلاة الصبح حتى ترتفع الشمس، وحينئذ ييسر له أن يقرأ القرآن في سبع كما أمر النبي -عليه الصلاة والسلام- عبد الله بن عمرو لذلك حيث قال له: **((اقرأ القرآن لسبع ولا تزد))**، ومع قراءته يدون الكلمات الغريبة ليراجع عليها بعد الفراغ من القراءة، يراجع عليها كتب التفسير، يراجع عليها كتب الغريب، فكتاب الله ينبغي أن يكون عناية طالب العلم به أكثر، نعم يعنى بالحفظ أولاً، ثم بعد ذلك بالمراجعة، ثم القراءة من أجل تحصيل أجر الحروف، التدبر والترتيل والعمل كل هذا مطلوب بالنسبة لطالب العلم، يعنى بالنسبة للعامة الذي يعرف أن يقرأ القرآن هذا حصل أجر الحروف بالنسبة له يكفي، أما بالنسبة لطالب العلم لا بد أن يتفقه من كتاب الله، وأن يتعلم، وأن يتعلم كتاب الله، ويعلم كتاب الله بعد ذلك، أما إذا قرأ القرآن في شهر كل يوم جزء بإمكانه أن يقرأ معه تفسير مختصر، سهل أن يقرأ تفسيراً مختصراً في شهر إذا كان يقول: أنا لا أزيد على جزء من القرآن مع مراجعة التفسير هذا لا بأس، حينئذ يتعلم القرآن علماً وعملاً على طريقة الصحابة -رضوان الله عليهم-، لكن على الإنسان أن يستكثر من هذا الباب الذي فتح له مما يقربه إلى الله -جل وعلا-.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فيقول المفسر -رحمه الله تعالى- في قوله -جل وعلا-: **{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ}** (21) سورة الطور، يقول: **{وَالَّذِينَ آمَنُوا}** مبتدأ، والواو حينئذ تكون استئنافاً يعني -**{الَّذِينَ آمَنُوا}** مبتدأ، **{وَاتَّبَعَتْهُمْ}** معطوف على آمنوا" فعل على الفعل، **{ذُرِّيَّتُهُمْ}** الصغار والكبار، الصغار والكبار"، هذا الأصل في الذرية أنهم النسل صغاراً كانوا أو كباراً، **{بِإِيمَانٍ}** من الكبار"، ومن الآباء في الصغار، الذين آمنوا معروف بتوابعه ولوازمه بأركانه الستة التي لا يصح إلا بها، بالعمل المشترك فيه آمنوا، **{اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ}** من الكبار والذرية" يشمل الصغار والكبار، فالكبار مطالبون بالإيمان، يقول: ومن الآباء يعني -الإيمان من الآباء بالنسبة للصغار-؛ لأنه قد يقول قائل: **{اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ}** كيف نعرف إيمان الصغير من أبوين مسلمين؟ محكوم بإسلامه فهو مسلم حكماً ما دام موجود بين أبوين مسلمين ولم يبلغ، هذا صغير لكنه محكوم بإسلامه **{اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ}** الصغار والكبار بإيمان من الكبار؛ لأن الكبار مطالبون بالإيمان فعليهم أن يتصفوا به، والصغار حكمهم حكم الأبوين، فمن ولد بين أبوين مسلمين فهو مسلم حكماً وأولادهم في الجنة معهم، كما جاءت

في ذلك الأحاديث الصحيحة، الصغير الغير مكلف هذا معروف أنه لا يؤاخذ فيما يرتكبه من معاصي، أو يتركه من واجبات؛ لأنه لم يجب عليه في الشرع شيء، لكن لو أن صبيّاً في العاشرة من عمره بين أبوين مسلمين أعجب بالنصرانية؛ لأن الأمور الآن صارت تصل إلى كل شيء، الدعوة إلى الأديان، وإلى المذاهب، وإلى الفرق تصل إلى بيوت المسلمين في قعرها، ويطلع على هذه الأمور الكبار والصغار، الشيوخ والعجائز والأطفال، فأعجبه النصرانية وقال: هو نصراني، هو لم يكلف، هل نقول: إن هذا يتبع أبويه ويلحق بهم، باعتبار أن كلامه هذا لغو؛ لأنه غير مكلف، أو نقول: إنه مؤاخذ به ما دام ليس بمؤمن، وخلع ..... الإيمان والإسلام من عنقه فماذا عن مثل هذا؟ لأن القيد **{وَاتَّبَعْتَهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ بِإِيمَانٍ}** ماذا يقال في مثل هذا؟ الأصل أن من لم يبلغ الحنث هذا غير مكلف، يعني لو نطق بكلمة كفر، لو نطق بكلمة شرك هذا الأصل المؤصل عند أهل العلم؛ لأن القلم مرفوعاً عنه: **{(رفع القلم عن ثلاثة)}**، وتصرفاته له وعمده في حكم الخطأ، ومنهم: **{(الصبي حتى يبلغ)}** ولو أن إنساناً في منامه تكلم بكلام فهم منه الردة -نسأل الله السلامة والعافية- ما يؤاخذ عليه حتى يستيقظ، وكذلك المجنون لا يؤاخذ ولو قال ما قال، فهؤلاء مرفوع عنهم القلم فلهم حكم آبائهم حتى يكفوا.

ومن الآباء في الصغار، والخبر خبر المبتدأ **{(الَّذِينَ آمَنُوا)}** مبتدأ، "خبره **{(أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ)}** المذكورين -من الكبار والصغار- في الجنة، فيكونون في درجاتهم وإن لم يعملوا بعملهم تكربة للآباء باجتماع الأولاد إليهم"، **{(أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ)}** سواء كانوا كباراً أدركوا وآمنوا وعملوا الأعمال الصالحة إلا أنهم لم يبلغوا منازل الوالدين، هؤلاء يلحقون بوالديهم تكربة لهم، والشرط متحقق يعني -الشرط في دخول الأصل أصل دخول الجنة- متحقق، لكن هؤلاء في منزلة الدنيا وآبائهم في منزلة عليا يلحقون بهم، وهذا ما في إشكال فضل من الله -جل وعلا-.

يقول: "فيكونون في درجاتهم وإن لم يعملوا بعملهم تكربة للآباء لاجتماع الأولاد إليهم"، الصغير إذا مات ولم يبلغ الحنث أيضاً ليس لديه من العمل ما يؤهله إلى منزلة أبيه فيلحق به، الزوجة مع زوجها كما هو معروف، فأمهات المؤمنين مع النبي -عليه الصلاة والسلام- في منزلة، وهذا ما دعا ابن حزم أن يقول: إن أمهات المؤمنين أفضل من أبي بكر وعمر، يعني عائشة أفضل من أبيها، وحفصة أفضل من أبيها، وسودة أفضل من أبي بكر وأفضل من عمر وهكذا، لماذا؟ لأنها في منزلة النبي -عليه الصلاة والسلام- في الجنة هذا ما يقوله ابن حزم، لكن هذا القول ليس بصحيح.

ليست بأفضل من أبي بكر ولا عمر ولا من هو فوقهم من الصحابة، وكون الشيء يثبت تبعاً يعني هذا التكريم التبعية لا يعني ارتفاع المنزلة استقلالاً، يعني كون الإنسان من الطبقة العليا بالنسبة لأمر الدنيا -أمير وإلا وزير وإلا كبير وإلا ثري ويتنعم بملذونات هذه الدنيا، يسكن المساكن الفاخرة، ويركب المراكب الفارهة، ويأكل المطاعم الناهية، وعنده خدم السائق مثلاً يأكل معه، ويسكن معه في بيته، هل نقول: إن هذا السائق أفضل من الطبقة التي تلي هذه من الأغنياء، ومن الأمراء، من نواب الوزراء مثلاً؟ لا.

كون الإنسان يكرم لغيره لا يعني أنه أفضل ممن دون ذلك الغير، تجد بعض الخدم والسائقين يسكنون في ملاحق عند من ينتسبون إلى خدمته ملاحق، وهذه الملاحق أفضل من بيوت كثير من أوساط الناس، ويأكلون

من المطاعم أفضل مما يأكله كثير من الناس، لكن كون هذا يكرم من أجل غيره لا يعني أنه أكرم من غيره، لا، فأبو بكر وعمر أفضل من أمهات المؤمنين، والعشرة أفضل من أمهات المؤمنين، ومع ذلك دونهن في المنزلة؛ لأنهن مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في منزلته، وهؤلاء الذرية من كبار وصغار ليسوا بأفضل ممن دون آبائهم وإن كانوا مع آبائهم في المنزلة، إلا إنهم لن يكونوا أفضل ممن دون آبائهم، يعني لو نظرت إلى أكبر عالم في البلد مثلاً عالم عامل، يعني أفضل من في البلد وعنده أولاد صغار وكبار، هل نقول: إن هؤلاء الأولاد أفضل من الشيخ الذي يليه في المرتبة لا؛ لأنهم أكرموا لا لذواتهم إنما أكرموا تبعاً لأبائهم، وكل هذا لأجل كلام ابن حزم في تفضيل أمهات المؤمنين على أبي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة.

**{اتَّبَعْتُهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ}** لكن إذا لم تتبعهم بالإيمان **{كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ}** [سورة المدثر] ما ينفع، **{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ}** [سورة القصص] خلاص، قد يكون الولد في عليين، والأب في أسفل سافلين، والعكس إذا كان من أهل النار لم يلحق بإيمان مثل هذا انتهى، جاء في الخبر أن خديجة سألت النبي -صلى الله عليه وسلم- : عن ولدين لها توفي في الجاهلية؟ فقال -عليه الصلاة والسلام- **{((هما في النار))}**، فكأنها وجدت في نفسها -تأثرت-، فقال لها النبي -عليه الصلاة والسلام-: **{((لو رأيتهما أو لو رأيتهما، -إيه عشان لو لكان كذا شرطية يعني لو رأيتهما -طيب- لأبغضتيهما))}** مثلها كلها هذه مشكلة، يعني لو حصل منك الرويا لهما لحصل منك البغض لهما؛ لأن الله -جل وعلا- ينزع ما في قلوب أهل الجنة مما يؤثر عليها ومما يكدرها، ولذلك لما سُئل سأل شخص النبي -عليه الصلاة والسلام- فقال له: أين أبي؟ فقال: **{((أبوك في النار))}** فتأثر، فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: **{((إن أبي وأباك في النار))}** ماتوا في الجاهلية ماتوا على الكفر، فمثل هؤلاء لا يلحقون بذويهم فالشرط موجود **{اتَّبَعْتُهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ}**، هذا لا ما اتبعوا بإيمان فالشرط غير متحقق، **{الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ}** المذكورين في الجنة، فيكونون في درجاتهم، وإن لم يعملوا بعملهم تركة للأباء باجتماع الأولاد إليهم".

طيب هذا بالنسبة للأولاد فماذا عن الآباء؟ يعني الابن في مرتبة عالية جداً والأب عمله أقل، عرفنا أن الذرية تلحق بالأب لكن ماذا عن الأب؟ الذرية يشمل الأصول، ويشمل الفروع، ظاهر في الفروع ذرية، لكن في الأصول **{حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ الْمَشْحُونِ}** [سورة يس] **{ذُرِّيَّتَهُمْ}** من بعده، وإلا الذي من قبلهم؟ الذين من قبلهم، يعني أصولهم -حملنا أصولهم- فهم داخلون في مسمى الذرية.

**{وَمَا أَلْتَنَاهُمْ}** [سورة الطور] بفتح اللام وكسرهما، و**{الْتَنَاهُمْ}** ألتناهم من باب ضرب ألت يألث، وكسرهما من باب علم علم يعلم، ألت يألث "نقصناهم **{مِنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ}** من زائدة"، ما نقصناهم من عملهم من شيء، يعني إذا كانت أمور الدنيا مبنية على الحسابات، نعم مبنية على الحسابات الزائد والناقص فإن أمور الآخرة ليست كذلك فضل الله واسع، يعني لو افترضنا أن الأب تقدم إلى بلد، وسكن في فندق، في جناح الفندق ثلاثة أجنحة -جناح ألف وباء وجيم- وسكن في جناح ألف، ثم جاء أولاده بعده فما وجدوا في ألف فما وجدوا إلا في جيم مثلاً، بحيث نفترض أن الأب مع أولاده مصروف لهم سكن من قبل الدولة، إذا افترضنا أن الجناح ألف -بألف وخمس مائة- الليلة، وباء -بألف-، وجيم -بخمس مائة- ما وجدوا في ألف، وجدوا في جيم وهو مصروف لهم، الأب له سكن خاص في ألف، والأولاد في جيم هكذا صرف لهم فقال الأب: أنا أريدهم معي في ألف قالوا: لا

والله التوجيه يقتضي أنهم في جيم ما هم معك، كيف تحسب أمور الدنيا علشان يتعادلون، ويلحق الأولاد بأبيهم؟ قال: ينزل إلى باء ويرتفعون هم إلى باء صح، وإلا علشان تكون بقدر المبلغ الذي خصص لهم من قبل الدولة، لكن هل هذا في الجنة ..... لا والله، أنت في منزلة عالية جداً تبي تنزل قليلاً ويرفعون لا، لا **{وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ}** ما نقصناهم شيء هم في منزلته.

**{وَمَا أَلْتَنَاهُمْ}** نقصانهم **{مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ}** ومن هذه زائدة، ومر بنا مراراً أن زيادتها من حيث أنها لو حذفنا استقام المعنى، لكن لا يعني أنها ليست لها فائدة، لها فائدة وهي تأكيد النفي، تزداد بعض الحروف دعامة للكلام من شيء يزداد في عمل، يزداد في عمل الأولاد، يعني إذا تقرر أنهم يرفعون إلى منازل آبائهم فمعناه أننا زدنا في عملهم، زدنا في علمهم مقتضى الزيادة في عمل الأولاد أن ينقص من عمل الآباء، لكن ما ألتناهم من عمله من شيء، هذا الشيء الذي زدناه في عمل الأولاد ليس معناه أننا نحسمه من عمل الآباء، يلحقون بهم يزداد من عمل الأولاد.

طيب قد يقول قائل: هذا فيه بيان مزية وفضل لمن له أولاد، فماذا عن من حرم الأولاد- شخص عقيم-؟ ما في شك لمن لهم أولاد يرفعون عنده، لكن هذا محروم من الأولاد، ماذا له حرمانه من الأولاد مع صبره واحتسابه ورضاه بقدر الله، له من الأجر ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، فعليه أن يصبر ويحتسب ولا ينظر إلى مثل هذه الأمور، بل يرضى بما قدر الرحمن.

وكن صابراً للفقير وادرع الرضى لما قدر الرحمن واشكره واحمد

عليك أن ترضى بما كتب الله لك.

**{كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ}** [ (21) سورة الطور ] **{كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ}** من عمل خير أو شر **{رَهِيْنٌ}** - يعني مرتهن - مرهون يؤخذ بالشر ويجازى بالخير " هذا هو الأصل، هذه القاعدة أن كل عامل بعمله إن خيراً فخير و إن شراً فشر، لكن فضل الله - جل وعلا - لا يحد، والنقص من عمله من أجل تسديد شيء آخر **{كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ}** يعني لو أن الأب نزل من منزلته لكان عقابه بغير عمله، والله - جل وعلا - يقول: **{كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ}** من خير أو شر مرهون مرتهن بحيث يؤخذ بالشر ويجازى على الخير، ويجازى بالخير **{كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ}** من صيغ العموم، **{كُلُّ}** من صيغ العموم فيشمل المسلم والكافر، ومنهم من يقول: إن هذا خاص بالكافر **{كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ}** [ (38) سورة المدثر ]، إلا أصحاب اليمين فإنها ليست مرتهنة فالمؤمن لا يدخل في هذه الآية؛ لأنه مستثنى في الآية الأخرى، الارتهان معروف أنه يتفاوت، **{رَهِيْنٌ}** يعني بمرتتهن أو مرهون، منهم من يرتهن بالشيء اليسير، ومنهم من يرتهن بالشيء الكبير فالكافر مرتهن بكفره بحيث لا يفك أسره ولا رهنه، والمسلم يرتهن بعمله **{(وكل مولود مرتهن بعقيقته)}** يعني -محبوس بالشفاعة لأبويه حتى يعق عنه-، والدين أيضاً رهن مرهون بدينه ذمته معلقة بدينه مرتبطة به، فلا شك أن الرهن والارتهان أمور نسبية، لكن الرهن والارتهان بالنسبة للكافر لا شك أنه لا فكاك منه؛ لأن الكافر مخلد في النار نسأل الله العافية.

وأما المسلم إذا عمل سيئة أو عمل شر هو مرتهن بهذا الشر، لكن مألوه إلى أن يفك عنه الرهن، فالاستثناء **{إِلَّا أَصْحَابُ الْيَمِينِ}** [ (39) سورة المدثر ] هؤلاء لا شك أنهم إن ارتهنوا فرهن مؤقت يفك، وهو أيضاً تحت المشيئة إن شاء عاقبه، وإن شاء عذبه بقدر ذنبه، وإن شاء عفا عنه، وأما الكافر فلا يرد فيه مثل هذا.

**{وَأَمْدَدْنَاهُمْ}** [(22) سورة الطور] "زدناهم في وقت بعد وقت"، **{بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ}** وإن لم يصرحوا بطلبه"، **{أَمْدَدْنَاهُمْ}** فعل أمد الرباعي والفعل الثلاثي أمد.

يقول أهل العلم: إن الفعل الرباعي لا يكون إلا في الخير، والثلاثي في الشر **{أَمْدَدْنَاهُمْ}**، وأما بالنسبة لثلاث **{وَأَمْدَدْنَاهُمْ}** [(79) سورة مريم] -نسأل الله العافية- فرق بين مدا وأمدا، وهنا الفعل الرباعي "أمددناهم، زدناهم في وقت بعد وقت" يعني متتابع في وقت بعد وقت، **{بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ}** يعني وإن لم يصرحوا بطلبه"، ما يحتاج إلى أن يطلب مجرد ما يشتهون، يحصل لهم ما يشتهونه، يحصل لهم ما يشتهونه، يشتهونه، وهذا نعيم الجنة الذي لا يقدر قدره إلا الله -جل وعلا- فيها **{(ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)}** مجرد ما يشتهي يحصل له ما يشتهي.

جاء في بعض الأخبار مثل ما أشرنا قريباً أن صاحب الجنة، المؤمن إذا دخل الجنة يشتهي الطائر، فينزل على خوانه جاهز للأكل، هو طائر يطير ينزل جاهز للأكل، ثم بعد ذلك يأكل منه ما يريد، ثم بعد ذلك يطير؛ لأن نعم الآخرة لا تنتهي ولا تزول، نعيمهم دائماً يقول: "وإن لم يصرحوا بطلبه".

**{يَتَنَازَعُونَ}** [(23) سورة الطور] هذا ليس من النزاع والشقاق لا؛ لأنه لا يوجد في قلوبهم غل، ونزعنا ما في قلوبهم من غل، وكل شيء موجود ومتوفر بحسب الشهوة بدون طلب يحصل و**{يَتَنَازَعُونَ}** يتعاطون بينهم" يتبادلون بينهم كل واحد يعطي الثاني بينهم، **{فِيهَا}** أي: في الجنة"، **{كَأْسًا}** يعني "خمرًا"، والكأس لا يقال له كأس حتى يكون مملوءاً يقال له كأس.

**{لَا لَغْوٌ فِيهَا}** أي بسبب شرب يقع بينهم"، **{لَغْوٌ}** كلام خصام نزاع، كلام باطل، كلام لا خير فيه لا ما يحصل هذا، **{لَا لَغْوٌ فِيهَا}** "أي بسبب شربها يقع بينهم" كما في خمر الدنيا كما إذا شربها في الدنيا -نسأل الله السلامة والعافية- أصدر من الكلام ما يضحك الأطفال والمجانين، حمزة لما شربها مع من معها في أيام عرس علي بفاطمة، وعلى عمل واجتهد في الكسب حتى أشتري ناقة يستعين بها على زواجه مهرة ووليمته شرب الخمر مع مجموعة معه، فقال ما قال وأخذ وقيل له ألا يا حمز للشرف الواء فبقر بطنها، وقال: ما أنتم إلا عبيد لأبي هذه -خمر الدنيا تفعل بصاحبها هكذا-، وهي أم الخبائث فقد يقتل، قد يزني، قد يقع على محارمه، قد يكفر وهو لا يشعر، ينطق بكلام، والخلاف بين أهل العلم معروف في كون الآثار المترتبة على السكر يؤاخذ بها، أولاً يؤاخذ، المسألة معروفة لكن الأكثر على أنه مؤاخذ؛ لأنه هو الذي اختار هذا الأمر بطوعه واختياره، ومنهم من يقول: حكمه حكم المجنون لا يؤاخذ، على كل حال خمر الدنيا معروف حكمها وتحريمها ومن لعن فيها -نسأل الله السلامة والعافية-، لعن فيه عشرة وهي أم الخبائث **{(من شربها في الدنيا، لم يشربها في الآخرة)}** وأيضاً لو أن الإنسان أعمل عقله لم يشربها، كيف بشخص أنعم الله بالعقل ثم يسعى، يعني -إذا رأى مجنوناً حمد الله وشكره- إن لم يكن مجنوناً، ثم بعد ذلك يسعى إلى زوال ذلك العقل! ألا يخشى أن يعاقب بعدم عودة عقله إليه -وهي أم الخبائث-، وقد لعن النبي -عليه الصلاة والسلام- فيها عشرة، وهي **{(أم الخبائث من شربها في الدنيا لم يشربها في الآخرة، لَّا لَغْوٌ فِيهَا)}** "أي بسبب شربها يقع بينهم **{وَلَا تَأْتِيهِمْ}** به يلحقهم بخلاف خمر الدنيا" يعني لا يلحقهم بسبب شربها إثم، وجاء ما يدل على أن الخمرة يطلق عليها إثم، يطلق عليها الإثم، ولا يوجد ذلك في خمر الآخرة.

وخمر الآخرة تجري أنهار من تحتهم أنهار بغير أخدود -تجري هكذا-، ولا تفيض يميناً ولا شمالاً  
أنهارها من غير أخدود جرت سبحان ممسكها عن الفيضان

إضافة إلى الأنهار الأخرى من العسل ومن اللبن ومن الماء، ويطوف عليهم للخدمة، يطوف على أهل الجنة يخدمونهم غلمان أرقى لهم، يطوف عليهم للخدمة غلمان لهم، ما قال: غلمانهم يطوف عليهم غلمانهم، يقول: يطوف عليهم لخدمتهم غلمان لهم أرقى؛ لأنه لو قال غلمانهم لاستصحب الإنسان ما كان هل في الدنيا من كان يخدمه في الدنيا يخدمه في الآخرة، ومن لا يخدم في الدنيا لا يخدم في الآخرة، لكن **{غِلْمَانٌ لَهُمْ}** (24) سورة الطور] يعني للجميع ليست للمخدوم في الدنيا دون غيره، غلمان للخدمة، خدمة في طلب جميع ما يشتهون، في إحضار جميع ما يشتهون.

وجاء في بعض الآثار أنه إذا نادى قال له ألف غلام على بابه: لبيك، لبيك، نعيم دائم لا تبلغه الأفهام، ولا تدركه الأوهام، نعيم لا يخطر على قلب بشر، وهناك كتاب اسمه -نسيت أول اسمه-، لكن في الرد على الخواطر الشيطانية من بعض الكتاب المعاصرين، ممن استولى على أفكارهم الشياطين قال: إنهم يستخدمون هؤلاء الغلمان في الاستخدام القبيح في الدنيا -نسأل الله العافية-، ويقولون: إنهم يتمتعون بهم في الآخرة، وهذا كلام باطل وهو في الدنيا قبيح فكيف بالآخرة؟ على كل حال هذا الكلام إنما يقال؛ لئلا يغتر به، وله عليه رد طيب اسمه: في الرد على فلان في خواطر شيطانية، أو في بعيد العهد عني الكتاب، لكنه قول شنيع نسأل الله السلامة والعافية، ولا يظن بهذا القول إلا أنه نسأل الله السلامة والعافية أنه ممن فتن بهذا العمل.

**{وَيُطَوِّفُ عَلَيْهِمْ}** (15) سورة الإنسان] للخدمة **{غِلْمَانٌ}** أرقاء **{لَهُمْ كَانَتْهُمْ}** حسناً ولطافة" يعني -في حسنهم ولطافتهم- **{لَوْلُو مَكْنُونٌ}** هؤلاء الغلمان **"{كَانَتْهُمْ لَوْلُو مَكْنُونٌ}** مصون في الصدفة؛ لأن اللؤلؤ المكنون في الصدفة أحسن منه في غيره"، اللؤلؤ المكنون يعني لؤلؤ الدنيا المكنون في صدفة، أفضل من اللؤلؤ الذي أبرز من صدفة؛ لأنه يتعرض للمتغيرات كالهواء والمناخ، يتغير إذا أخرج من كنه، وما زال مكنون فهو أجمل وأحفظ، وهؤلاء الغلمان **{كَانَتْهُمْ لَوْلُو مَكْنُونٌ}**، وهذا معروف أنه مثال تقريبي لما في الجنة، وإذا كان هذا في الغلمان والخدم فكيف بمن يخدم؟! كيف بمن يخدم؟! إذا كان هذا هو الخادم كأنه لؤلؤ مكنون فكيف بمن يخدم؟!، يعني سئل النبي -عليه الصلاة والسلام- عن هذا السؤال فقال: **{إِنْ صَاحِبِ الْجَنَّةِ بِالنِّسْبَةِ لِخَادِمِهِ كَمَثَلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ}** على أقل كوكب الفرق بينهما هكذا، فإذا كان الخادم الغلام الذي يخدم المؤمن في الجنة هذا وصفه كأنه لؤلؤ مكنون فكيف بالمخدوم؟!.

**{وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ}** (25) سورة الطور] **"{وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ}** يعني يسأل بعضهم بعضاً عما كانوا عليه، وما وصلوا إليه تلذذاً واعترافاً بالنعمة"، يتسألون فاكهين فرحين يسأل بعضهم بعضاً كنا نفعل كذا، كنا نفعل كذا في الدنيا، يتذكرون أفعالهم التي أوصلتهم إلى هذا المكان، يعني من الأمثلة أنه إذا ظهرت النتائج واجتمع المتميزون عن غيرهم، افترض مثلاً الخمسة الأوائل في الليلة التي أعلنت فيه النتائج، أخذوا يتناقشون والله كنا نفعل، كنا ندرس، كنا نذاكر، يستمتعون بهذا الكلام، لكن اذهب إلى القوم الآخرين الراسبين، ويش يقول يمكن ما يجتمعون، وهنا **"{أَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ}** يسأل بعضهم بعضاً عما كانوا عليه وما وصلوا إليه تلذذاً واعترافاً بالنعمة".

**{قَالُوا} إيماء إلى علة الوصول** الذي أوصلهم إلى هذا النعيم **"{إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا}** يعني في الدنيا **"{مُشْفِقِينَ}** خائفين من عذاب الله" وجلين خائفين، وجلين من عذاب الله، فالخوف من عذاب الله -جل وعلا- لا شك أنه من أثر التقوى، والخشية من الله -جل وعلا- من أثر العلم النافع **{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}** [(28) سورة فاطر] والخوف من الجليل من أثر التقوى، فكانوا خائفين من عذاب الله راجين لرحمته -جل وعلا-، فهذا يدل على الإنسان في هذه الدنيا ينبغي أن يكون خائفاً وجلاً من سوء العاقبة، ولا يعتمد على ما عنده أو علم أو عمل لا يغير بهذا؛ لأنه ما يدري في أي لحظة يسلب هذا العلم، أو ذلك العمل، **"{إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا}** يعني في الدنيا **"{مُشْفِقِينَ}** خائفين من عذاب الله"، وجلين من عذاب الله، وهذه حال أهل الإيمان.

**{فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ}** [(27) سورة الطور] بالمغفرة"، **{وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ}** لدخولها في المسام، **{وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ}** عذاب السموم عذاب النار، والسموم هو الحر الشديد الذي يدخل في مسام الجلد، يعني هذه الفتحات الصغيرة التي لا يدخل فيها الهواء يدخل فيها هذا السموم، يدخل في مسام الجلد فقيل له: سموم يعني لو أنت لو نخفت يدك ما بان لهذا النفخ أثر، لو هبت ريح شديدة ما دخل هواء لو غمستها فيها ماء ما دخلها ماء، لكن مع ذلك يدخلها السموم ينفذ في مسام الجلد -نسأل الله السلامة والعافية-، **{وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ}** وقالوا: إيماء أيضاً".

**{إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ}** [(28) سورة الطور] أي في الدنيا" قبل **"{إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا}** في الدنيا، **{مُشْفِقِينَ}** خائفين من عذاب الله" ومشفقين راحمين لأهلنا في الدنيا، فصفة الرحمة والشفقة على النفس وعلى الغير لا شك أنها صفة المؤمنين: **{(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد)}** يشفقون على أنفسهم، يشفقون على أهلهم، يشفقون على ذويهم، يشفقون على غيرهم من المؤمنين، وقالوا أيضاً إيماء **"{إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ}** أي في الدنيا **"{نَدْعُوهُ}** أي نعبد موحدين"، ندعوه دعاء العبادة، وأيضاً دعاء المسألة، يسألونه دعاء ربنا، يا ربنا يسألون الله الجنة، ويستعيذون به من النار، يسألونه ما يقربهم إليه، ويستعيذون به مما يبعدهم عنه **{إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ}** أي في الدنيا **"{نَدْعُوهُ}** أي نعبد، أي دعا المسألة، ودعاء العبادة.

**"{إِنَّهُ}** بالكسر استئنافاً، وإن كان تعليلاً معنى -يعني الجملة تعليلية فبالكسر تعليل معنى-، وبالفتح تعليل لفظ"، **{إِنَّهُ}** كأن لام التعليل مقدره؛ لأنه فإذا كسرت همزة إن صارت الجملة تعليلية من حيث المعنى، وإن كانت استئنافية من حيث اللفظ ومعناها التعليل، وإذا قلت أنه صار التعليل لفظي بتقدير اللام لأنه، **"{هُوَ النَّبِيُّ}** المحسن الصادق في وعده"، المنجز لوعده **{النَّبِيُّ}** الذي في جميع خصال **{النَّبِيُّ}** -جل وعلا-، **{إِنَّهُ هُوَ النَّبِيُّ الرَّحِيمُ}** المحسن الصادق، **"{الرَّحِيمُ}** العظيم الرحمة" بخلقه.

**{فَذَكِّرْ}** الرسول -عليه الصلاة والسلام- يذكر هذه وظيفته فيؤمر بالتذكير **{فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ}** [(29) سورة الطور] وفي آخر ق: **{فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ}** [(45) سورة ق] فالتذكير التي هي الوعظ هي وظيفة الأنبياء، ووظيفة وراثهم وأتباعهم التذكير والوعظ، لا سيما بالقرآن من أعظم من يوعظ به ويذكر به القرآن، وللقرآن ولأئمة المساجد لا سيما الذين يحرصون على تزيين وتحسين الصوت بالقرآن لهم نصيب من هذا إذا استحضروا هذا، وتجذب بعضهم عندهم الصوت الجميل والقراءة الجيدة ثم بعد يبخل على الناس، يقرأ الآية والآيتين ثم يركع والناس بحاجة إلى التذكير بكلام رب العالمين.

**{فَذَكِّرْ}** هو يذكر هذه وظيفته، لكن يؤمر بذلك للدوام عليه، كما أن المؤمن يؤمر بالإيمان **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}** [سورة النساء] يعني دوموا على إيمانكم، فالمتلبس بالشيء المتصف به يأمر به من أجل الاستمرار عليه، **{فَذَكِّرْ}** دم على تذكير المشركين ولا ترجع عنه لقولهم لك كاهن مجنون".

**{فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ}** يعني بفضل الله عليك، ما أنت بإنعامه عليك، ما أنت بكاهن، خبر ما بكاهن، واقترن خبر ما بالباء معاملة لها معاملة ليس وهي حينئذ على هذا القول حجازية، حجازية يعني تعمل عمل ليس، أما تميمية فلا تعمل فهي في هذه الآية حجازية؛ لأنه اقترنت الباء بخبرها مثل ليس **{فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ}** بإنعامه عليك، **{بِكَاهِنٍ}** يعني تدعي الغيب، وتتلقفه من مسترق السمع لست كذلك، و**{لَا مَجْنُونٍ}** معطوف عليه يقال: كاهن، يقال: ساحر، يقال: مجنون، لكن الذب يصف بهذه الأوصاف المتناقضة المتباينة كاهن يختلف تصرف الكاهن عن تصرف المجنون، المجنون لا يعي ما يقول، والشاعر يضبط ما يقول، ويزن ما يقول أكثر مما يزنه الناثر، فكيف مرة يقولون: شاعر يعني -كلامه موزون منضبط، متسق، مقفى-، ثم يقولون: مجنون لا يعي ما يقول، لا شك أن هذا تخبط مما يدل على أن قولهم لا أصل له، ولا رصيد له من الواقع، بل هم في قرارة أنفسهم يشهدون له بصدق ذلك، يشهدون له بخلاف ذلك، لكنهم من باب المعاندة، ومن باب التهديد فيه وفيما جاء به يصفونه بهذه الأوصاف، **{وَلَا مَجْنُونٍ}** معطوف عليه، معطوف على المجرور مجرور، يقول هنا: **{أَمْ}** بمعنى "بل" تكون إضراب، والأصل أنه استقهام إنكاري، يعني كما قال الخليل: أم في سورة الطور كلها استقهام، وكررت خمس عشرة مرة في هذه السورة، **{يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَبِّبُ الْمُتُونِ}** [سورة الطور] حوادث الدهر فيهلك كغيره من الشعراء"، وهذا شاعر من الشعراء مثل ما مات الشعراء زهير وقبله امرأ القيس يهلك ونرتاح منه، **{أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَبِّبُ الْمُتُونِ}** حوادث الدهر فيهلك كغيره من الشعراء.

**{قُلْ تَرَبَّصُوا}** [سورة الطور] هلاكي" انتظروا، تتربص يعني -ننتظر انتظروا هلاكي- **{فَأَيُّ مَعَكُمْ مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ}** [سورة الطور] يعني أنا أيضاً انتظر هلاككم، **{فَأَيُّ مَعَكُمْ مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ}** هلاككم فعدبوا بالسيف يوم بدر، والتربص: الانتظار"، أنتظر النبي -عليه الصلاة والسلام- هلاككم كما انتظروا هلاكه، فكان الذي حصل أن قتل رؤوسهم وصناديدهم في معركة بدر -قتل منهم سبعون، وأسر سبعون- وهذا هلاك، وأيضاً موت كل واحد منهم هلاك، إضافة إلى الهلاك الدائم في نار جهنم -نسأل الله السلامة والعافية-.

**{أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ}** [سورة الطور]؟ يعني عقولهم **{بِهَذَا}** [سورة الطور] حلم العقل؛ لأن العاقل عقله يحميه عن الطيش الذي يناقض الحلم، **{أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ}** يعني عقولهم **{بِهَذَا}** أي قولهم له: ساحر، كاهن، شاعر، مجنون" يعني لو كانت موجودة، لو كان لهم أحلام لم تأمرهم بذلك؛ لأن هذه أقوال متناقضة ما يقولها عاقل، يعني إذا كانت عقولهم تأمرهم بهذا، إذا كانوا يصدرن عن عقولهم فليس لهم عقول **{أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ}** [سورة الطور] يعني بل هم قوم طاغون كما قال المفسر، يعني أحلامهم لا تأمرهم بهذا، هم يعرفون أنهم في قرارة أنفسهم أنه على خلاف وضد ما يقولون، لكنهم قوم طاغون معاندون تجاوزوا الحد في طغيانهم، يعني الإنسان إذا أراد أن يصف شيئاً بما ينفر به عنه يصفه بأمر يوجد أصله فيه، ولا يصفه بشيء يكذبه كل من سمعه به، يعني بعض الناس تجده يصف إنساناً أو يمدح إنساناً بما يشبه الدم، ما يذمه ذمماً مباشراً مكشوفاً بشيء ليس فيه، إذا كان عاقلاً وأراد أن يذم خصمه ما يذمه بشيء يكذبه الناس



كلهم من أجله، وإنما يذمه بوصف هو متلبس به إذا كان عاقلاً، لكنه يضحك هذا الوصف يكون فيه أصل يجعل الناس يصدقونه، ويضحك ويفخم هذا الوصف بحيث ينفر الناس عنه بهذه الطريقة، أما أن يصفه بوصف يجزم أنه على خلافه، وأن الناس يكذبونه فإنه لن يستفيد إلا المعاملة بنقيض القصد، ولذا قال: **{أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ}** أي تجاوزوا الحد في الإقذاع بالسب، وإن كان هذا السب لا قيمة له، يعني تأتي إلى شخص عنده معاصي وأنت تريد أن تدمه فتضخم هذه المعاصي وترتب عليها آثاراً، لكن تأتي إلى شخص صالح، شخص تقي، وتقول: فلان يشرب الخمر، أو يزني، أو يفعل، أو، كل الناس تقول كذبت، لكن تأتي بأعمال إذا قلت صالح يمكن أن تصفه بالغلو بالتطرف؛ لأن عنده أصل العبادة وأنت تزيد تدمه بمثل هذا تجد من يصدقك؛ لأن الرجل بأنه رجل عابد، وملازم للمسجد، ومنقطع عن الدنيا، ويمكن أن تستدل بنصوص جاءت في الغلو والتطرف ومجاوزة الحد في العبادة تجد من يصدقك، لكن أن تأتي بالنقيض لا تجد من يصدقك، وهكذا لو تصف شخصاً فاسقاً بأنه متطرف أو غال في عبادته ما صدقوك، لكن عنده معاصي -تضخم هذه المعاصي- تجد من يصدقك، وهؤلاء وصفوا النبي -عليه الصلاة والسلام- بنقيض ما يتصف به -عليه الصلاة والسلام-، ولذا جاء الأسلوب التهكمي **{أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ؟}** عقولهم" التي أوصلتهم إلى هذا الحد، يعني مثل ما نقول بالنسبة للكفار الذين وصلوا إلى ما وصلوا إليه من أمور تتعلق بظاهر الحياة الدنيا، نقول: شوف العقول، العقول، الأحلام التي أوصلتهم إلى ما أوصلت من حضارة، لكنها لا توصلهم إلى الاستجاء الذي هو أخص من أخص ما يتصفون بضده، الظاهر لا يستجوبون -يقضي حاجته ويرفع سراويله-، هذا العقول التي صنعت وفعلت وأدركت من ظاهر الدنيا ما استطاعت أن تنظف ثيابها لذلك، تدم الإنسان بما فيه؛ لتصدق، أما تدمه بما ليس فيه هذا ما يصدقونك الناس.

**{أَمْ يَقُولُونَ}** [33] سورة الطور] هؤلاء الكفار للنبي -عليه الصلاة والسلام- **{تَقُولُ}** تقوله تفعل يعني تكلف في اختلاقه، وكذبه للقرآن، واختراعه من تلقاء نفسه، ومرة يلقي إليه، ومرة يتلقاه عن غيره، "اختلق القرآن والواقع أنه لم يخلقه" **{بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ}** استكباراً فإن قالوا: اختلقه" هو عربي من بيئتهم وعاش بينهم، وما انتقل إلى بلد آخر يتلقى عنه ما يتلقى، هو من بلدهم يعرفونه من ولادته إلى بعثته، يعني لو أن لك أماً يسكن معك في البيت لمدة عشرين سنة، وتعرفه ما فارقك ولا فارق البيت وأنت معه سفر وحضر، ثم فجأة قال لك: إني أحسن اللغات، أجيد عشرة لغات من فين، متى، متى تعلمت؟ هم يعرفون حاله ما راح لا يميناً ولا يساراً، كيف يخلق مثل؟ هذا إن كان اختلقه وأنتم مثله، أنتم مثله في العربية، في الفصاحة، في البلاغة يعني -مستواكم ما يقل عنه-، إلا أنه -عليه الصلاة والسلام- أوتي جوامع الكلم، لكن مع ذلك من الذي آتاه جوامع الكلم هو الله -جل وعلا-، إن كنتم تصدقون بمثل هذا فأمنوا بمن آتاه جوامع الكلم، إن كنتم تقولون اخترعه من تلقاء نفسه، فأنتم بمنزلته عرب تفهمون ما يقول، وتستطيعون أن تعبروا عما في أنفسكم بأعلى درجات الفصاحة والبلاغة فأتوا، **{فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ}** [34] سورة الطور] ولو **مخترق** من تلقاء أنفسهم، **{مِثْلَهُ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ}** [34] سورة الطور] في قولهم "إنه اختلقه، **{فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ}** تحداهم بجميع القرآن، ويا الله تعاونو كلكم يا معشر العرب، أو يا معشر العرب تعاونوا وأتونا بمثله، واستعينوا بالجن، تحداهم أن يأتوا بمثله فلم يستطيعوا، ثم تحداهم بعشر سور فلم يستطيعوا،

ثم تحداهم بسورة واحدة فلم يستطيعوا، فإن قالوا: **اخترلقه {فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ} مختلق {مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ}** يعني في قولهم".

**{أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ}** [سورة الطور] خلقوا من عدم، من غير شيء لا خالق لهم أم هم الخالقون لأنفسهم، هذه الآية وما بعدها هي التي أثرت في جبير بن مطعم وكاد قلبه يطير منها، **{أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ}** من غير خالق"، هل يتوقع أن شيئاً يتصرف بنفسه من غير أن يتصرف فيه غيره؟ لو افترضنا أن سفينة باخرة ليس لها قائد هي بنفسها تحمل البضائع، وتقود نفسها من قطر إلى قطر هل يتصور مثل هذا؟ العالم كله بمنزلة هذه السفينة، ما يمكن أن تقود نفسها بل لا بد لها من قائد يقودها ويسيرها.

**{أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ}** أم هم الخالقون لأنفسهم؟"، يعني هل يتصور أن إنساناً كان معدوماً ثم أوجد نفسه، أو وجد من غير خالق؟ يعني ما أوجده أحد، وجد فجأة كذا، **{أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ}** لأنفسهم؟" لا هذا ولا هذا، "ولا يعقل مخلوق بغير خالق ولا معدوم يخلق، لا مخلوق بغير خالق ولا معدوم يخلق"، لو أن إنساناً جالساً من هؤلاء فجاء آخر فضربه على ظهره -ولا في غيره ما في واحد ثالث- التفت فإذا به هذا، فقال: لماذا ضربتني؟ قال: ما ضربتك! يصدق وإلا ما يصدق، ضربة من غير ضارب يا أخي أنت تقول مخلوق من غير خالق هذه ضربة من غير ضارب، يصدق وإلا ما يصدق؟ ما يصدق يعني نظير قول الجبرية، حينما قالوا: إن الإنسان ما يتصرف ولا يؤاخذ على أفعاله؛ لأن مؤاخذته وهو مجبور ظلم، يعني لو ضربهم أحد وقال: أنا ما أتصرف ما ضربتك لا بالغ في مؤاخذته وأعده مجنون بهذا، إذا أنت كيف تفعل المعاصي، وتقول: أنا ما تصرفت، أنا مسير لست بمخير؟ لا مخير يا أخي، فأنت في تصرفاتك نظير تصرف هذا الذي ضربك، لك حرية واختيار ويؤاخذ على فعله، وأنت لك حرية واختيار ومؤاخذ على فعلك.

وهذا الذي قال: أنكر أن يكون له خالق يسأل خلقت من غير شيء، من غير خالق، وجدت كذا، أم أنت خلقت نفسك؟ يعني هل العدم شيء بحيث ينسب إليه فعل؟ ليس بشيء، "ولا يعقل مخلوق بغير خالق ولا معدوم يخلق، فلا بد لهم من خالق وهو الله الواحد، فلم لا يوحدهونه ويؤمنون برسوله وكتابه"؛ لأنه تفرد بالخلق والرزق والإحياء والإماتة والأمور كلها بيده -جل وعلا- إذا هو المستحق بالإفراد بالعبادة، وغيره لا يملك شيئاً إذا لا يستحق شيئاً.

**{أَمْ خُلِقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}** [سورة الطور] من خلقهم؟ من خلق السموات والأرض؟ يعني لو أن الخلائق كلها اجتمعت لتخلق سماء مثل السماء الموجودة يستطيعون، هل تحدثهم أنفسهم أن يفعلوا مثل هذا الفعل؟ لا يمكن أن تحدثهم أنفسهم بمثل هذا الفعل، **{أَمْ خُلِقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}** ولا يقدر على خلقهما إلا الله الخالق فلم لا يعبدونه، **{بَلْ لَا يُوقِنُونَ}** به"، وإلا لأمنوا بنبيه؟ يعني لو استعملوا عقولهم ونظروا في هذه الأمور الملزمة لأمنوا؛ لأن الإنسان حينما يقرر في أشياء لا جواب له عنها، وأشياء واقعة لا يستطيع إنكارها ..... مخلوق وإلا ما هو بمخلوق، يعني موجود وإلا معدوم؟ موجود، من أوجده؟ أوجد نفسه وإلا أوجد من غير موجد؟ كل هذا لا يكون، إذا لا بد له من موجد، من الموجد فلان وإلا إعلان، أبوه وإلا عمه وإلا خاله؟ هو مثله، إذا الموجد هو الله -جل وعلا-.

**{السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}** هل هم خلقوها، هل هم أوجدوها، هل يمكن أن يدعي أن والده هو الذي خلق السماء، أو ملكه العظيم المعظم عنده؟ يعني هل قال أهل مصر: إن فرعون خلق السماء؟ ما قالوا، ولا يمكن أن يدعوا ذلك؛ لأنهم يعترفون بقدرته وأنها محدودة، مع إيمانهم بالهيته وربوبيته التي أجبرهم عليها **{بَلْ لَا يُوقِنُونَ}** [36] سورة الطور] به وإلا لآمنوا بنبيه -عليه الصلاة والسلام-".

**{أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ}** [37] سورة الطور] من النبوة والرزق وغيرها فيخسوا من شأؤوا بما شأؤوا"، من أعظم الرزق أن يمنح المنحة الإلهية العظمى "النبوة"، لما بعث النبي -عليه الصلاة والسلام- اقترح أهل مكة أن يكون النبي على رجل من القريتين عظيم، إما أبو جهل من مكة، وإما عروة بن مسعود الثقفي من الطائف اقترحوا هذا، لكن **{اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ}** [124] سورة الأنعام]، هذا من الله -جل وعلا- لا يتصرف فيها أحد، فالمرسل هو الذي يختار الرسول.

الرزق عندهم خزائن الرزق يستطيعون أن ينزلوا المطر متى شأؤوا، لتنتبت لهم الأرض ما يعيشون به ويتعيش به دوابهم، أصيبوا بالسنين، ماتوا من الجوع، ما استطاعوا أن يقدموا ولا يؤخروا، أعظم ما عندهم أبو جهل وأبو لهب ونظرائهم ما استطاعوا أن يوجدوا لقمة عيش يأكلونها، يرون الجو كله دخان رائج جاي من الجوع، والجوع بس الضجيع يريك ما لا ترى، يري عيناك ما لا تراه، فهل استطاعوا أن ينزلوا المطر، هل استطاعوا أن يوجدوا شيئاً يأكلونه؟ ما استطاعوا.

**"{أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ}** من النبوة والرزق وغيرها فيخسوا من شأؤوا بمن شأؤوا؟"، إذا كان عندهم الخزائن يخصوا، إذ معروف أن الذي عنده شيء من المال أو من الطعام يعطي هذا الجار، وقد لا يعطي هذا الجار وهذا مجرد قسمة، وإلا فالمعطي هو الله -جل وعلا- **{(إنما أنا قاسم والله هو المعطي)}** **{وَأَتَوْهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ}** [33] سورة النور]، يعني وإن كانت عنده خزينة وعنده مستودعات، لكن هي مال الله، ومع ذلك هو أو تمن على هذا المال فلا يجوز له أن يصرفه إلا على مقتضى نظر الشرع، فيخسوا من شأؤوا بمن شأؤوا.

**{أَمْ هُمُ الْمُضْطَرُونَ}** المتسلطون الجبارون، وفعله سيطر، ومثله بيطر وبيقر" مسيطر، مبيطر، مبيقر، مهيمن، مجيمر أو مخيمر أو مخيمر هذا الكلمة ضبطت بالجيم والحاء والحاء، وقالوا: لا يوجد على صيغة مفعيل إلا هذه الكلمات الخمس.

**{الْمُضْطَرُونَ}** المتسلطون" وتقرأ بالسين والصاد، "المتسلطون الجبارون وفعله سيطر مثل بيطر"، بيطر يعني عالج، والبيطار المعالج، والبيطري الذي يعالج الدواب، وبيقر أفسد خلاف ضد عالج، بيطر، افسد وأهلك.

**{أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ}** [38] سورة الطور] مصعد مرقى يصعدون به، ويرتقون به إلى السماء، يستمعون فيه يعني عليه؛ لأن السلم يصعد عليه، لا يصعد فيه، اللهم إلا إذا قلنا: إن الصعود، يعني لا بد أن نضمن الحرف في بمعنى على **{يَسْتَمِعُونَ فِيهِ}** يعني عليه، **{وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ}** [71] سورة طه] يعني على جذوع النخل، فنضمن الحرف معنى حرف آخر، أو نضمن الفعل معنى فعل آخر يتعدى بنفس الحرف **{وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ}** كأنه قال: لأدخلنكم في جذوع النخل، يعني كأنه من قوة الربط يفتح الجذع فيدخلون فيه هذه مبالغة في الصلب، وهنا إذا أمكن تضمين الفعل أولى من تضمين الحرف كما قال شيخ الإسلام، وهنا ضمن الحرف معنى حرف آخر، كيف نقول يستمعون فيه كأنه مع صعودهم على هذا السلم يريدون الاستخفاء؟ لئلا يصيبهم الشهاب

الذي يصيب الجنى مسترق السمع فيستخفون في هذا السلم، يعني سلم مشتمل على شيء يخفيهم فكأنهم دخلوا فيه، هذا إذا أردنا أن نضمن الفعل، وهذا أولى من تضمين الحرف على رأي شيخ الإسلام.

**"يَسْتَمِعُونَ فِيهِ"** يعني عليه كلام الملائكة حتى يمكنهم منازعة النبي بزعمهم إن ادعوا ذلك، النبي -عليه الصلاة والسلام- يأتيه الوحي من السماء بواسطة جبريل، يقول: إن استطعتم أن تأتوا بوحى فأحضروا سلماً واصعدوا إلى السماء، واسمعوا كلام الملائكة، وانقلوه للناس فتكون أتيتم بمثل ما أتى به، **{أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلَيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ}** أي مدعي الاستماع عليه **{بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ}** بحجة بينة واضحة"، **{بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ}** يأتي بحجة بينة واضحة" يأتي بكلام الملائكة هات ما عندك، يعني كون مسيلمة يدعي أنه ينزل عليه وحي، وذكر ما ينزل عليه على حد زعمه من الوحي الشيطاني فرمي بالجنون، يا وبر، يا وبر، إنما أنت أذنان وصدر، وما أدري إيش، كلام لا معنى له، نعم إن كان عندكم شيء من السمع استمعتوه من الملائكة هاتوا **{فَلَيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ}** بحجة بينة واضحة"، هذا تدل على أنه فعل ذلك وأصابه.

قال المفسر -رحمه الله-: ولشبهه هذا الزعم، بزعمهم أن الملائكة بنات الله"، ولشبههم هذا الزعم بزعمهم أن الملائكة بنات الله" قال تعالى: **{أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبُنُونَ}** [سورة الطور] أي بزعمكم"، **{وَلَكُمْ الْبُنُونَ}** تعالى الله عما زعموه"، **{لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبُنُونَ}** ومعروف أن البنين أقوى من البنات فأنتم تستعينون عليه بالبنين على حد زعمكم، سوف يستعين عليكم بالبنات، ومقتضى ذلك أنكم تغلبونه ما دام ما عنده إلا بنات وأنتم عندكم بنين فأنتم تغلبونه، لكن هذا الزعم الباطل **{أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ}** أي بزعمكم"، **{وَلَكُمْ الْبُنُونَ}** تعالى الله عما زعموه"، يعني قالوا الملائكة: بنات الله، وعبودهم من دون الله.

**{أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا}** [سورة الطور] على ما جئتهم به من الدين **{تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا}** على ما جئتهم به من الدين **{فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ}** يعني من غرم ذلك **{مُتَّقِلُونَ}** فلا يسألون.

يعني لو كان النبي لما أرسل -عليه الصلاة والسلام- فرض على من يدخل في هذا الدين مبلغاً، لقال كثير من الناس ما دام يأخذ علينا هذا المبلغ لا أدخل في الدين؛ لأنه يتقلنا هذ المبلغ **"{أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا}** على ما جئتهم به من الدين"، يعني لو فرض على كل واحد ألفاً لقال كثير منهم أنا والله ما عندي ألف **{فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ مُتَّقِلُونَ}**، من هذا الغرم الذي ألزمتهم به متقلون، يعني لا يستطيعون أن ينووا به ويحملوه، يعني لو تصورنا المسألة في جامعة أهلية فرضت على كل طالب أربعين ألفاً، هل يتصور أن الناس بيدخلون في هذا الجامعة؟ نعم قد يدخلها بعض الناس؛ لأن عنده هذا المبلغ ويتربق الفائدة أعظم، يدخل لكن كثير من الناس يقول: والله يا أخي، ما نستطيع أن ندخل **{مِّنْ مَّغْرَمٍ مُتَّقِلُونَ}** ما نقدر، ما نتحمل، فهل طلب النبي -عليه الصلاة والسلام- ممن يتبعه على دينه مبلغاً قليلاً أو كثيراً؟ أبداً.

**{أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّنْ مَّغْرَمٍ مُتَّقِلُونَ}** يعني من مغرم، من الغرم الذي تطلبه منهم **{مُتَّقِلُونَ}** فلا يسلمون"؛ لأنه يتقلهم ولا يستطيعونه.

**{أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ}** [سورة الطور] أي علمه"، أي علم الغيب **"{فَهُمْ يَكْتُوبُونَ}** ذلك، يكتبون ذلك الغيب حتى يمكنهم منازعة النبي -عليه الصلاة والسلام- في البعث، وأمر الآخرة بزعمهم".

الرسول -عليه الصلاة والسلام- أخبر عما سيكون في آخر الزمان، وأخبر عما يكون في البرزخ، وأخبر عما يكون بعد البعث، وكل هذا غيب لا يمكن أن يطلع عليه النبي -عليه الصلاة والسلام- بنفسه، وإنما أطلع الله عليه **{قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ}** [ (65) سورة النمل] هؤلاء إذا كان عندهم علم غيب يأتيوا ماذا يكون غداً؟ والله ما يدورن، ما الذي يكون بعد سنة؟ والله ما يدورن، ما الذي يكون بعد مائة سنة؟ ما يدورن، ما الذي يكون بعد موت الإنسان؟ ما يدورن.

**{أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ}** [ (41) سورة الطور] اكتبوا ذلك الغيب وهاتوه، نعرضه على ما قرره النبي -عليه الصلاة والسلام- من المغيبات، **{أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ}** أي علمه **{فَهُمْ يَكْتُمُونَ}** ذلك حتى يمكنهم منازعة النبي -عليه الصلاة والسلام- في البعث وأمور الآخرة بزعمهم، لا شيء عندهم، أسألهم عما يكون بعد ساعة ما الذي يكون؟ أسأل أي مخلوق سواء كان مسلماً أو كافراً ما الذي يكون غداً -يعني من المغيبات الخمس التي لا يعملها إلا الله- -جل وعلا-؟ **{وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ}** [ (188) سورة الأعراف]؟ هذا كلام النبي -عليه الصلاة والسلام- **{إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا}** [ (34) سورة لقمان] يعني محل تجاري كبير دخله على حسب ما مضى عشرة ألف في الشهر، أو في اليوم هل يستطيع أن يقول أنني أكسب غداً عشرة آلاف، أو تسعة آلاف، أو عشرين ألف، أو ألف؟ لا يستطيع أن يحدد هذا كله بيد الله، قد يقول قائل: أنا أعرف ماذا أكسب؟ لأنني موظف وراتبي معروف، وفي نهاية الشهر يأتيني الراتب، قد يقول قائل مثل هذا الكلام، فأنا أعرف ما الذي سيكون في يوم خمسة وعشرين وإن كان غيباً اعرفه، نقول: والله ما تدري عن شيء، يمكن ما تداولم بكرة ثم ..... عليك، أو تحدث عملاً تفصل بسببه، أتدري ماذا تكسب غداً؟ والله ما تدري ماذا تكسب غداً، **{أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ}** أي علمه **{فَهُمْ يَكْتُمُونَ}** ذلك حتى يمكنهم منازعة النبي -عليه الصلاة والسلام- بالبعث وأمور الآخرة بزعمهم.

**{أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا}** [ (42) سورة الطور] بك ليهلكوك يقول: في دار الندوة"، أولاً أن السورة مكية، ودار الندوة إنما صارت متى؟ ليلة الهجرة، فالتقييد بدر الندوة لا داعي له.

**{أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا}** هم يكيدون للنبي -عليه الصلاة والسلام-، وحاولوا وخططوا لقتله، **{أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا}** بك ليهلكوك **{فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ}** المغلوبون المهلكون فحفظه الله منهم، ثم أهلكهم ببدر، أهلكهم ببدر" يعني أهلك رؤوسهم؛ لأن القوم إذا هلك رؤوسهم تحطموا، أهلك سبعين من رؤوسهم وصناديدهم، أهلك رؤوسهم وصناديدهم فقتل منهم سبعون، وأسر سبعون، وإذا هلك الرؤوس انهزم الباقي، ومع ذلك هم المكيدون المهلكون في العاجل أو الآجل -والله أعلم-.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.